

الفصل الثاني مزايا دعوة الأنبياء

- الميزة الأولى : دعوتهم ربانية .
- الميزة الثانية : لا يطلبون أجرًا على الرسالة .
- الميزة الثالثة : إخلاص الدين لله تعالى .
- الميزة الرابعة : البساطة وعدم التعقيد .
- الميزة الخامسة : وضوح الهدف والغاية .
- الميزة السادسة : إيثار الآخرة والزهد في الدنيا .
- الميزة السابعة : الشدّد في أمور الغيبيات .
- صفات الأنبياء « الصدق ، الامانة ، التبليغ ،
الفضائل ، السلامة من العيوب المنقورة ،
العصمة » .

obeikandi.com

خصائص ومزايا الدعوة

ما هي مزايا دعوة الأنبياء :

أهم ما في دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن لها خصائص ومزايا نلخصها فيما يلي :

أولاً: دعوة الأنبياء (ربانية) أي بوحى وتكليف من الله عز وجل .

ثانياً: أن الأنبياء لا يطلبون أجراً على الرسالة بل يأخذون الأجر من الله .

ثالثاً: إخلاص الدين لله سبحانه، وإفراد العبادة له جل وعلا .

رابعاً: البساطة في الدعوة، وعدم التكلف أو التعقيد .

خامساً: وضوح الهدف والغاية في دعوة الأنبياء الكرام .

سادساً: الزهد في الدنيا، وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا .

سابعاً: التركيز على (عقيدة التوحيد) والتشديد في أمر الإيمان بالغييب .

هذه أهم مزايا دعوة الأنبياء الكرام، وسنوضح كل مزية من هذه المزايا بشيء

من التوضيح والبيان، والله المستعان .

الميزة الأولى :

أولاً: أما أن دعوة الأنبياء (ربانية) فإنما يقصد بذلك أنها بوحى وتكليف من

الله عز وجل، فليست هي نابعة من نفوسهم، وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية التي

تكون في زمانهم، من ظلم وبغي وجور واستبداد . . كما أنها ليست نتيجة تفكيرهم

العميق أو تألمهم على الحالة المؤسفة التي يعيشها الناس، بل هي بوحى من الله وتكليف من الباري جل وعلا، فكل ما جاء به الأنبياء إنما مصدره الوحي، فكل نبي من الأنبياء يقول: ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

فليس لهم إذاً إلا تبليغ أوامر الله سبحانه وتعالى.

يقول فضيلة الشيخ (أبو الحسن الندوي) حفظه الله في كتابه «النبوة

والأنبياء»:

(إن أول وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء، أن العلم الذي ينشرونه بين الناس، والعقيدة التي يدعون إليها والدعوة التي يقومون بها، لا تنبع من ذكائهم أو حميتهم، أو تألمهم بالوضع المزري الذي يعيشون فيه، أو من شعورهم الدقيق الحساس، وقلوبهم الرقيق الفياض، أو تجاربهم الواسعة الحكيمة، لا شيء من ذلك، إنما مصدره الوحي والرسالة التي يصطفون لها، ويكرمونها بها. . فلا يقاسون أبداً على الحكماء أو الزعماء، أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل، والذين هم نتيجة بيئتهم وقرس حكمتهم، وصدى محيطهم ورد فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد فوضى. . والقول الفصل في ذلك القول القرآن الكريم على لسان سيد الرسل ﷺ:

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا وَلَا آذَنْتُمْ بِهِ. فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١).

وقول الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَئِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

(١) سورة يونس: الآية (١٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢).

ويقول القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة التي يختار لها الرسل، وعن مبدئها ومصدرها:

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (١).

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية، أو حوادث وقتية خارجية ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع، وقد قال الله عن رسوله الكريم:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).

ولا يستطيع أن يحدث تغييراً، أو تبديلاً، أو تحويراً، أو تعديلاً في رسالته وأحكام الله، وقد قال الله لرسوله ﷺ ملقناً إياه الحجة:

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣).

وهذه هي السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء، الذين تكون رسالتهم وكفاحهم، وحي بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم، والذين يلاحظون دائماً البيئة والمجتمع، والظروف والأحوال، ويراعون المصلحة والسياسة، ويخضعون لها في كثير من الأحوال فيتنازلون عن أشياء كثيرة، وقد يتساومون مع الأحزاب، ويتبادلون معها المنافع، ومبدأ كثير منهم الذين يأخذون به: (در مع الدهر كيف دار) (٤).

(١) سورة النحل: الآية (٢).

(٢) سورة النجم: الآيتان (٣ - ٤).

(٣) سورة يونس: الآية (١٥).

(٤) انظر: كتاب النبوة والأنبياء للفضيلة الشيخ الندوي ص ٣٥.

ويظهر لنا الفرق جلياً واضحاً في سيرة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم، حيث لا يقبلون المساومة على شيء من أمور الدعوة مهما كان الثمن بخلاف دعوة الزعماء والمصلحين.. فحين عرض المشركون عرضاً سخية على رسول الله ﷺ، وكان من جملة تلك العروض أن يملكوه عليهم، أو يزوجه ما شاء وأحب من النساء، أو يدفعوا له كرائم أموالهم ويعطوه ما شاء من مال ومتاع، مقابل أن يترك الدعوة، ويعرض عن ذم الآلهة والسخرية بالأوثان والأصنام، ماذا كان جوابه؟ وماذا كان موقفه؟؟ لقد قال قوله الشهيرة، التي لا يزال يرددها الزمان:

«والله لو وضعوا الشمس عن يميني، والقمر عن يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»^(٤).

الميزة الثانية:

أما الميزة الثانية لدعوة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم، فهي أنهم لا يطلبون أجراً من أحد، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمناً من إنسان، إنما يطلبون الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى، فكل نبي من الأنبياء كان يعلن على رؤوس الأشهاد، علانية وجهاراً أنه لا يريد أجراً على الدعوة، ويقرر بكل وضوح وجلاء أن دعوته لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال.

واستمع إلى (هود) وهو يخاطب قومه فيقول:

﴿يَنْقُومُ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

وهذا هو خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله يقرر الحقيقة ناصعة جلية فيقول:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

(١) انظر: سيرة ابن هشام.

(٢) سورة نوح: الآية (٥١).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٥٧).

ويقول في موطن آخر من الدعوة:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (١).

وهكذا كان الرسل الكرام لا يدعون أحداً بقصد الكسب المادي، أو الربح الدنيوي، إنما يعلنون أنهم لا يطلبون أجرهم إلا من الله، فهم في دعوتهم يخلصون العمل، وفي نصحهم وإرشادهم لا يرجون الثناء أو المديح، إنما يقصدون ثواب الآخرة ووجه الله:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢).

الميزة الثالثة:

أما الميزة الثالثة للدعوة الأنبياء الكرام فهي إخلاص الدين لله سبحانه، وإفراد العبادة له جل وعلا. . . وهذا هو الهدف الأسمى الذي دعا إليه جميع الأنبياء في كل عصر وزمان، وفي كل بيئة ومكان، فلم يكن هدف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلا أن يوجهوا المخلوق الضعيف إلى خالقه العظيم القدير، وأن يصرفوا وجهة البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب جل وعلا، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٣).

ولقد أرسل الله جميع الرسل بهذه الدعوة الكريمة المباركة (دعوة التوحيد) وإخلاص النية والعمل له تعالى عن طريق إفراده بالعبادة، كما قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٤).

(١) سورة ص: الآية (٨٦).

(٢) سورة الكهف: الآية (١١٠).

(٣) سورة البينة: الآية (٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

يقول الشيخ الجليل (أحمد الدهلوي) رحمة الله في كتابه «حجة الله

البالغة»:

(إن الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم، وأكبر هدفهم في كل زمان، وفي كل بيئة هو «تصحيح العقيدة» في الله تعالى، وتصحيح «الصلة بين العبد وربه» والدعوة إلى «إخلاص الدين» وإفراد العبادة لله وحده، وأنه النافع الضار، المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده.. وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية القائمة في عصورهم. الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام، والصالحين والمقدسين، من الأحياء والأموات الذين كان يعتقد أهل الجاهلية أن الله قد خلع عليهم لباس الشرف والتأله، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة، ويتقبل شفاعتهم فيهم بالإطلاق، بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكاً، ويقلده تدبير المملكة)^(١).

الميزة الرابعة:

أما الميزة الرابعة في دعوة الأنبياء صلوات الله عليهم فهي: البساطة في الدعوة، وعلم التكلف والتعقيد.

وهذه الميزة واضحة في دعوة جميع الأنبياء، فإنهم يسيرون مع الفطرة، ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، ولا يتكلفون في دعوتهم كما يفعل بعض الزعماء والمصلحين ولا يُعقدون الأمور أو يخاطبون الناس بما لا يفهمون أو يدركون.. بل يسلكون طريق الحكمة، في الدعوة والتبليغ، فهذا سيد الرسل ﷺ يقول على لسانه القرآن:

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

كما يأمره ربه بالدعوة إلى الله بالحكمة فيقول عز من قائل:

(١) انظر: كتاب حجة الله البالغة للدهلوي.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١).

ولا بد لنجاح الدعوة من سلوك طريق الأنبياء في البعد عن الأساليب الصناعية والتصنع، وعدم التكلف في دعوة الناس أو مخاطبتهم، وإقامة الحجة عليهم بالمنطق والبرهان العقلي، الذي يفهمه الكبير والصغير، والعالم والجاهل، انظر إلى (إبراهيم) عليه السلام وهو يقيم الحجة القاصمة على خصمه العنيد، ويقطع عليه الطريق بأيسر السبل وأظهر البراهين الدامغة:

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

ولهذا نجد أن أنجح طريق للدعوة هو (الأسلوب الفطري) الذي يخاطب الفطرة بعيداً عن الأساليب الصناعية، والمناهج الكلامية، والأمور العويصة وقد أجاد حجة الإسلام رحمه الله حين قال:

«أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضرر به الأكثرون. . بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع، والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً» (٣).

وقد قال الإمام الرازي رحمه الله:

(لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا،

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

(٣) راجع: كتاب «النبوّة والأنبياء» للأستاذ الندوي.

ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي^(١).

الميزة الخامسة:

والميزة الخامسة في دعوة الأنبياء هي: وضوح الهدف والغاية في الدعوة، فهم يدعون الناس إلى هدف واضح، وإلى فكرة بيّنة، لا لبس فيها ولا غموض، استمع إلى قوله تعالى مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

فطريقة الأنبياء واضحة، ودعوتهم ظاهرة ساطعة، مثل الشمس في رابعة النهار، ولهذا قال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(٣).

وهكذا نجد أن الأنبياء الكرام إنما دعوا الناس إلى رسالة ربانية، ذات هدف واضح، وغاية نبيلة، وهم في دعوتهم لا يسلكون الطرق الملتوية التي تُخفي وراءها الغرض والهدف من تلك الدعوة، كما هو الحال عند بعض القادة والزعماء، الذين لا يعرفون قصدهم ولا غرضهم على وجه الحقيقة والتأكيد.

الميزة السادسة:

الميزة السادسة في دعوة الأنبياء هي (الزهد في الدنيا وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا).. وهذه الميزة ملازمة لدعوة الأنبياء الكرام، فليس هدفهم الاستمتاع

(١) راجع: كتاب «النبوات» للإمام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة؛ وأحمد في المسند ١٢٦/٤.

بزهرة الدنيا وزينة الحياة، لذلك فقد عاش كل الرسل الكرام في شظف من العيش، وفي شدة من الضيق، مع أنهم كانوا يستطيعون أن يتنعموا في الدنيا، وأن يعيشوا فيها عيشة العظماء.. ولكنهم آثروا الباقية على الفانية، لأنهم أيقنوا أن ﴿ما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ وأن ﴿ما عند الله خيرٌ للآبرار﴾ لذلك فقد كانوا زاهدين في الدنيا، مقبلين على الآخرة.. وقد خاطب الله سيد الأنبياء بقوله:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١).

وحين طلب أزواج رسول الله ﷺ من الرسول الكريم أن يوسع عليهن في النفقة وأن يزيد لهن في الرزق، ويعاملهن كبقية النساء اللواتي يعشن في رغد من الدنيا، وفي بحبوحة من النعيم.. حين طلبن ذلك نزل التخيير لهن من السماء، وكان ذلك درماً لهن قاسياً في الحياة حيث أمر الله رسوله أن يُخيرهن بقوله جلّ وعلا:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: والله إنني لأحبك، فقال: «انظر ماذا تقول؟» فكرر الرجل عليه الكلمة ثلاث مرات، فقال له الرسول الكريم: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً» (٣) فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه» (٤).

(١) سورة طه: الآية (١٣١).

(٢) سورة الأحزاب: الآيات (٢٨ - ٢٩).

(٣) تجفافاً: المراد به اللباس وأصله ما يلبسه الفرس ليتقي به الأذى.

(٤) رواه الترمذي في سننه رقم ٢٣٥٠، وقال: حديث حسن غريب.

يقول الشيخ (أبو الحسن الندوي) في كتابه «النبوة والأنبياء» ما نصه :
(ولم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة، وإيثارها على الدنيا، والاستهانة بقيمتها
ومتاعها، دعوة باللسان فقط، ودعوة لأمتهم فقط، بل كان ذلك مبدأ ومنهاجاً
لحياتهم، وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم، فكانوا زاهدين
في الدنيا، مقبلين على الآخرة، قد زهدوا في المناصب الكبيرة والمراكز الخطيرة،
وضحوا بها في سبيل دعوتهم . . .).

ثم قال حفظه الله :

(ومعيشة النبي ﷺ وحياته وحياء أهل بيته معروفة في التاريخ معروفة في
السيرة النبوية، تثير العجب، وتسحر النفوس، وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب
للدعاة والسائرين على منهاج النبوة مناراً عالياً من نور، وكان شعارها الدائم : «اللهم
لا عيش إلا عيش الآخرة».

الميزة السابعة :

والميزة السابعة من مزايا دعوة الأنبياء هي : التركيز على عقيدة التوحيد،
والتشديد في أمر الإيمان بالغيب .
وهذه من المزايا الواضحة، التي تظهر للعيان بكل جلاء ووضوح، في دعوة
جميع الأنبياء، حيث إنهم جميعاً قد ركزوا جهودهم على تقرير (عقيدة التوحيد)
وإثبات وحدانية الله، ووجود الصانع المدبر الحكيم، كما أنهم قد ركزوا على
موضوع الإيمان بالغيب، فلا نكاد نجد نبياً من الأنبياء إلا وقد حذر قومه من خطر
الوثنية والإشراك، ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له . . . استمع إلى القرآن
الكريم يحدثك عن الأنبياء الكرام نبياً نبياً . . . وكيف كان التوحيد أساس دعوتهم،
وغاية جهادهم، فتجده يقول عن (نوح) عليه السلام :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ﴾^(١)

(١) سورة المؤمنون : الآية (٢٣).

وتجده يقول عن (هود) عليه السلام:

﴿وإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (١).

وتجده يقول عن (صالح) عليه السلام:

﴿وإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ (٢).

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم عن جميع الأنبياء، أنهم قد دعوا إلى (التوحيد) أما إبراهيم الخليل صلوات الله عليه فقد كانت دعوته إلى التوحيد، ومحاربه للوثنية، أوضح وأصرح، حيث تجلى موقفه الصلب مع قومه في تسفيه عقولهم، وتسفيه ما يعبدونه من أصنام، حتى حكموا عليه بالتحريق في النار، ولكن الله تبارك وتعالى قد نجاه من كيدهم:

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٣).

وهكذا نرى المعركة تشتد بين الأنبياء وأقوامهم حول رسالة الحق ودعوة التوحيد، وتنتهي بانتصار الحق وتغلب الرسل، وهلاك المكذبين. . . وصدق الله حيث يقول:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤).

(١) سورة هود: الآية (٥٠).

(٢) سورة هود: الآية (٦١).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٦٩ - ٧٠).

(٤) سورة الصافات: الآيات (١٧١ - ١٧٣).

وما أروع هذه البشرية لعباد الله المرسلين ولدعاة الحق إلى يوم الدين حيث
يقول جل ثناؤه:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ ^(١) .

* * *

(١) سورة غافر: الآيتان (٥١ - ٥٢).

صفاء الأنبياء الكرام

اختار الله تباركت أسماؤه الأنبياء الكرام ليكونوا سفراء بينه وبين عباده، واصطفاهم من بين سائر الخلق ليحملوا الأمانة العظيمة «أمانة الوحي» وتبليغ الدعوة والرسالة لعباده. . وقد اقتضت حكمته العلية أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً، وأفضلهم علماً، وأشرفهم نسباً، وأعظمهم أمانة، وأن يحفظهم بعنائه، ويكلاًهم برعايته، ويربيهم على عينه تبارك وتعالى كما قال جل ثناؤه مخاطباً سيد الرسل الكرام:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (١)

وكما قال لموسى عليه السلام:

﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٢)

وإذا تتبعنا القرآن الكريم، وقرأناه قراءة تدبر وتبصر، واستعرضنا آياته الكريمة التي تتحدث عن (النبوة والأنبياء) نجد فيها الذكر العاطر، والثناء المجيد، لهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة واصطفاهم لحمل الرسالة، واختارهم من بين سائر الخلق ليكونوا حملة مشعل (الهداية والإصلاح) وقادة ركب الإنسانية إلى طريق السعادة، وشاطيء الأمن والسلام.

(١) سورة الطور: الآية (٤٨).

(٢) سورة طه: الآية (٣٩).

نستعرض الكتاب المجيد، فتطالعنا صوراً ونماذج لم يخلق الله أجمل منها في هذا الكون.. ونرى أسلوب القرآن في الحديث عنهم أسلوباً يتدفق بالحياة، ويفيض بالبشر، وينم عن الحب والإيثار.. فيذكرهم بالثناء العاطر، ويصفهم بأسمى الصفات والموهب العقلية والخلقية، كل ذلك ليدل على أنهم (الصفوة) المختارة من خلق الله، و(المثل العليا) الكاملة للبشرية.. اقرأ إن شئت قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ (١).

واقرا قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٢).

وقوله تعالى عنه:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ لَرَبُّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

واقرا قوله عن الكليم موسى عليه السلام:

﴿قَالَ يَمْؤُوسُ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٤).

كما يذكر في موطن آخر الثناء العاطر على نبيه وكليمه موسى عليه السلام

فقول:

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).

(٢) سورة مريم: الآية (٤١).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢١).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّكُمْ كَانُمْرًا مَّخْلُصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدْبَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ (١).

واقرا قوله جل وعلا عن نبيه (إسماعيل بن إبراهيم) عليه السلام :

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ (٢).

ثم استمع إلى ذلك الثناء والمديح العاطر، الذي وصف به القرآن الكريم جماعة من الأنبياء المكرمين حيث يقول :

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ﴿٤٨﴾ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٩﴾﴾ (٣).

وهكذا نجد القرآن العظيم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام، يصفهم بأسمى الصفات العالية، وينعتهم بأكمل الأوصاف، وتظهر من خلال سطورهم معالم الحب والتكريم، والاصطفاء والاجتباء، فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة، وأخرى بالتضحية والإيثار، ويذكرهم في بعض المواطن بالصدق والنزاهة، كل ذلك ليشير إلى علو شأنهم، ورفع مكانتهم، وسمو الرسالة التي بعثوا من أجلها، فكانوا هداة العالم، وقادة البشرية (٤).

* * *

(١) سورة مريم : الآيات (٥١ - ٥٢).

(٢) سورة مريم : الآيات (٥٤ - ٥٥).

(٣) سورة ص : الآيات (٤٥ - ٤٨).

(٤) راجع : كتاب النبوة والأنبياء للأستاذ الندوي ص ٢٥ - ٣٠.

صفاء الرسل الكرام

والأنبياء صلوات الله عليهم - وإن كانوا من البشر - يأكلون ويشربون، ويصحبون ويمرضون، وينكحون النساء، ويمشون في الأسواق. وتعترتهم العوارض التي تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت. . . إلا أنهم يمتازون بخصائص، ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة، هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم ومن أهم الضروريات، وهذه الصفات نلخصها فيما يلي:

١ - الصدق. ٤ - الفطنة.

٢ - الأمانة. ٥ - السلامة من العيوب المنفرة.

٣ - التبليغ. ٦ - العصمة.

ولنشرح كل صفة من الصفات الواجبة للأنبياء الكرام صلوات الله عليهم بشيء من التفصيل فنقول وبالله التوفيق:

أولاً - الصدق:

وهذه الصفة ملازمة للنبوة، وهي وإن كانت ضرورية للبشر، إلا أنها بالنسبة لدعوة الأنبياء، صفة لازمة، بل هي من الصفات الفطرية فيهم، فلا يمكن للنبي - أي نبي كان - أن يصدر منه ما يخل بالمروءة كالكذب والخيانة، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها من الصفات القبيحة، لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم؟! ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء، لما أصبح هناك ثقة فيما ينقلونه من أخبار الوحي، أو يروونه عن الله عز وجل. . . إذ يحتمل أن يكون ذلك من الأمور التي جاءوا بها من تلقاء أنفسهم، أو اخترعوها من بنات أفكارهم، ثم نسبوها إلى الله - وحاشاهم من ذلك - كذباً وزوراً، ولذلك

نجد القرآن الكريم، يحكم ذلك الحكم الفاصل، في حق كل من يفترى على الله أو يكذب على لسانه، فيقول في حق سيد المرسلين:

﴿ولو تقول^(١) علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين^(٢) . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . وإنه لتذكرة للمتقين﴾ .

يقول شهيد الإسلام (سيد قطب) عليه رحمة الله في كتابه ظلال القرآن: «وفي النهاية يجيء ذلك التهديد الرهيب، لمن يفترى على الله في شأن العقيدة، وهي الحد الذي لا هوادة فيه، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره، وهو صدق الرسول ﷺ، وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه . . ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية، أن محمداً ﷺ صادق فيما أبلغهم، وأنه لو تقول بعض الأقاويل، التي لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات، ولما كان هذا لم يقع فهو ﷺ لا بد صادق . . » انتهى . ولقد اشتهر الرسول ﷺ منذ الصغر بالصدق والأمانة، حتى كان المشركون يسمونه (الصادق الأمين) فيقولون: جاء الصادق الأمين، وذهب الصادق الأمين . . وهكذا كان النبي الكريم قبل البعثة عنماً بين قريش في صدقه وأمانته، وعلو مكانته .

روي أن رجلاً من سادة قريش لقي (أبا جهل) في أحد طرقات مكة، فاستوقفه ثم قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك، أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط . . فقال: فما الذي يمنعكم من اتباعه؟ فقال له أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم، وتنازعنا الزعامة والفخر، أطعموا فأطعمنا، وسقوا فسقينا، وأجاروا فأجرونا، حتى كنا كفرسي رهان - أي استوينا وإياهم في السبق والفخر - ثم زادوا علينا فقالوا:

(١) تقول: أي افترى علينا الكذب تقولاً لأنه قول متكلف . والآيات من سورة الحاقة من (٤٤) إلى (٤٨) .

(٢) الوتين: عرق متصل بالقلب إذا قطع مات صاحبه .

بعث منا نبي فمن أين تأتيهم نبى؟ والله لا نؤمن به ولا نتبعه، وفي هذا أنزل الله جل ثناؤه تسلياً لنبىه ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾^(١).

فهذا هو عدو الله يقر ويعترف بصدق الرسول، ولكن يمنعه من اتباعه حب الزعامة والرئاسة، وصدق من قال: «والفضل ما شهدت به الأعداء».

وحين سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان بن حرب - قبل إسلامه - عن أمر محمد ﷺ وكان السؤال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: ما عرفنا عليه كذباً قط!! فأجابه هرقل بجواب رائع هو قوله: «ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»^(٢) وهذا لعمر الحق هو المنطق السديد، والقول الفصل.

ثانياً - الأمانة:

وهي أن يكون النبي أميناً على الوحي، يبلغ أوامر الله ونواهيه إلى عباده، دون زيادة أو نقص، ودون تحريف أو تبديل، امثالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله حسيباً﴾^(٣).

فالأنبياء جميعاً مؤتمنون على الوحي، يبلغون أوامر الله كما نزلت عليهم، لا يمكن لهم أن يخونوا، أو يخفوا ما أمرهم الله تعالى به. لأن الخيانة تتنافى مع الأمانة، وهل يليق بالنبي أن يخون أمانته، فلا ينصح الأمة، ولا يبلغ رسالة الله؟!.

(١) انظر: السير النبوية لابن هشام، والآية من سورة الأنعام رقم ٣٣.

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، وانظر: تمام الحديث في عمدة الفقاري على شرح البخاري للعيني ٧٧/١.

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٩).

فالأنبياء الكرام كلهم قد أدوا الأمانة على الوجه الأكمل، وكل نبي كان يقول لقومه:

﴿إني لكم ناصحٌ أمينٌ﴾ .

وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه:

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ .

أي ليس بمتهم على الوحي والغيب. ولولم تكن في الأنبياء الأمانة لتغيرت مظاهر الرسالة وتبدلت، ولما اطمأن الإنسان على الوحي المنزل.. ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «لو كان محمد كاتماً شيئاً مما نزل عليه لكتم هذه الآية الكريمة:

﴿وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(١).

ولكتم أيضاً الآيات التي فيها عتاب له ﷺ مثل قوله تعالى:

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ .

وقوله تعالى:

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٢).

فلا بد من توفر صفة (الأمانة) في كل نبي ورسول، لتظل النفس مطمئنة إلى سلامة الوحي، وإلى أن كل ما جاء به النبي إنما هو من عند الله العزيز الحكيم وصدق الله حيث يقول:

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٠٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ ورواه

مسلم برقم ١٧٧ في الإيمان، وانظر جامع الأصول ٣٠٨/٢.

(٢) سورة الأنفال: الآيات (٦٧ - ٦٨).

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١)

ثالثاً - التبليغ:

وهذه الصفة خاصة بالرسول الكرام صلوات الله عليهم، ويُقصد بها أن يبلغ الرسولُ أحكامَ الله، ويبلغوا الوحي الذي نزل عليهم من السماء، فلا يكتُموا شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم، حتى ولو كان في تبليغه للناس إيذاءً عظيم لهم، أو شر مستظير يلحقهم من الأشرار والفجار، وقد قال القرآن الكريم في قصة (نوح) عليه السلام:

﴿ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وقال عن (صالح) عليه السلام:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴾ (٣)

وقال في (شعيب) عليه السلام:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٤)

وهكذا نجد جميع الرسل يعلنون بكل صراحة ووضوح أنهم قد بلغوا رساله

(١) سورة النجم: الآيتان (٣ - ٤).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٦١ - ٦٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٧٩).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٩٣).

الله، ونصحوا للأمة، حتى خاتم الرسل (محمد) صلوات الله عليه يأمره ربه بتبليغ الرسالة فيقول مخاطباً له :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

فكل رسول مكلف بتبليغ الدعوة والرسالة، ولا يمكن لأحد من الرسل أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً مما نزل عليه، لأنه يكون قد خالف أمر الله، وخان الأمانة التي عهدت إليه . . . ولهذا نجد بعض السور أو الآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى : ﴿ فل ﴾ وهو أمر موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ليبلغه لأمته، فيبلغها الرسول كما نزلت عليه دون زيادة أو نقص، اقرأ مثلاً قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٢).

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٣).

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وقد كان يكفي الرسول أن يبلغ الأوامر الإلهية دون تلك اللفظة التي خوطب بها، ولكنه أمين على الوحي يبلغ رسالة ربه بالحرف الواحد دون تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقصان، فلم يقل (هذه سبيلي أدعو إلى الله) ولم يقل (أعوذ برب الفلق) أو (أعوذ برب الناس) وإنما ذكر الأمر الذي توجه إليه من العلي القديم، بنفس الصيغة ونفس الحروف، وذلك دليل الأمانة القصوى في تبليغ الدعوة والرسالة.

(١) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة الكافرون: الآيتان (١ - ٢).

والغرض من (التبليغ) أن يقطع الله الحجة على الناس، ولئلا يبقى لأحد عذر يوم القيامة، فإن الله تبارك وتعالى أكرم من أن يعذب إنساناً قبل أن تبلغه الرسالة وأرحم من أن يعذبه بدون ذنب كما قال تعالى :

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).

وكما قال جل ثناؤه :

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْعَنُوا عَلَيْهِمْ أَيَّتَنَّا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٢).

وقد بعث الله جل ثناؤه خاتم المرسلين ليكون للعالمين نذيراً، وأرسله على فترة من الرسل ليقطع على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) معاذيرهم لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، وقد ذكر تبارك وتعالى ذلك في كتابه العزيز فقال وهو أصدق القائلين :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وقد بلغ الرسول الكريم دعوة ربه، فحين نزل عليه قول العلي الكبير :

﴿فَأَصْدَعُ يَمَانُومَرُّ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

جهر الرسول بالدعوة، وقام بتبليغ الرسالة، فصعد على جبل الصفا ثم جعل ينادي القبائل وبطنون قريش: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب...»،

(١) سورة الإسراء : الآية (١٥).

(٢) سورة القصص : الآية (٥٩).

(٣) سورة المائدة : الآية (١٩).

(٤) سورة الحجر : الآية (٩٤).

حتى اجتمعوا إليه فقال لهم الرسول الكريم: «أرايتم لو أنني أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم هل كنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط!! فقال لهم عليه الصلاة والسلام: فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد.. فقال له عمه (أبو لهب): تباً لك يا محمد ألهذا جمعتنا، فأنزل الله رداً عليه:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾ الآية (١).

رابعاً - الفطنة:

وهي الذكاء والنباهة، فلم يبعث أحد من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من النباهة، والذكاء الخارق، مع كمال العقل والرشد، استمع إلى قوله تبارك وتعالى في وصف الخليل إبراهيم عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٢).

وانظر إليه في موقف المحاجة لقومه المشركين تجد فيه آيات النبوغ والذكاء:

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرَهُمْ لِلْعَلْمِ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١) ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢) ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كِبْرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣) ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥) ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَفِ لَكَؤُلُومًا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧).

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ونور اليقين للخضري.

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٥١).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٥٨ - ٦٧).

وحقاً إنه لمنتهى الذكاء والنبوغ، يتجلى في عمل إبراهيم عليه السلام فلقد حطم بيده الأصنام، ثم علق القدم في عنق أكبر الأصنام ليقيم الحجة على قومه . . فحين قدموه للمحاكمة سأله هذا السؤال: من الذي حطم آلهتنا وأقدم على تكسير الأصنام؟ هل أنت الذي فعلت ذلك يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم عليه السلام: إنني لم أحطمها، ولكن الصنم الكبير والمعبود العظيم هو الذي حطمها لأنه لم يرض أن تعبد معه، والدليل على ذلك أنه وضع القدم في عنقه، وإذا لم تصدقوا كلامي فاسألوهم عن ذلك الأمر وسلوه . . وهنا كان قد بلغ إبراهيم إلى هدفه، فأقام عليهم الحجة بعد أن سفّه عقولهم، وجعلهم يضحكون من أنفسهم، وهكذا يكون منطق الأنبياء .

وانظر إليه في موقف آخر وهو يجادل الطاغية (نمرود) الذي نازع الله في ملكه، وزعم أنه إله يعبد من دون الله، وأنه الرب المعبود، كيف كان نبوغ إبراهيم وذكاؤه؟ وكيف دحض خصمه العنيد، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

إنها الحجة الدامغة، التي تقصم ظهر الباطل، فتجعله صريعاً أمام نور الحق المبين .

وهكذا جميع الأنبياء والرسل، أعطاهم الله العقل والرشد، فكانوا على أكمل وجوه الذكاء والنبوغ، فقد خصهم الله تعالى بالذكاء الخارق، والفتنة والنباهة، ليستطيعوا إقامة الحجة على أقوامهم، وقد جرت حكمة الله الأزلية، أن يختار للرسالة أكمل الناس عقلاً، وأوفرهم ذكاء، وأقواهم حجة وبرهاناً، ليظهر ضياء الحق، وتعلو دعوة الله، وصدق الله حيث يقول:

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١).

وإذا كان البشر يعتر بهم النقص، وتضعف قواهم العقلية، وربما وصل البعض منهم إلى حالة (الخرف) عند بلوغ سن الشيخوخة.. فإن الأنبياء الكرام يظلون في القمة العليا من راحة العقل، وقوة التفكير، مهما امتدت أعمارهم لأن الله تعالى قد أحاطهم بعنايته، وحفظهم برعايته، ولا يمكن أن تضعف حواسهم الفكرية وتتعلل مواهبهم العقلية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واللَّهُ ذو الفضل العظيم.

خامساً — السلامة من العيوب المنقّرة:

وهذه الصفة من خصائص الأنبياء الكرام، فإنه لا يمكن أن تكون فيهم عيوب خَلْقِيَّةٌ أو خَلْقِيَّةٌ، تنفر الناس من الاجتماع بهم، أو اتباعهم والسماع لدعوتهم كما أن الأمراض المنقّرة كالبرص والجذام، والتشويه الجسدي لا يكون في أحد من الأنبياء، فهم وإن كانوا من البشر، تصيبهم العوارض التي تصيب البشر، إلا أن الله عز وجل قد صانهم من العيوب المنقّرة، وسلمهم من الأمراض الشائنة، التي تجعل النفوس تنفر منهم، وما روي عن (أيوب) عليه السلام من أنه مرض واشتد به المرض حتى تعفن جسده وأصبح الدود يخرج من بدنه، حتى كرهته زوجته، فإن هذا من الأباطيل والأكاذيب التي نقلت عن (الإسرائيليات) ولا يصح تصديقها أو الاعتقاد بها، لأنها تتنافى مع صفات الأنبياء، والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئاً من هذا، وإنما الذي ذكره أنه قد أصابه الضر في بدنه فدعا ربه — بعد أن اشتد به الكرب والضر — فكشف الله عنه ما أصابه من كرب وبلاء، قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أِنِّي مَسْنِي الضَّرَّ وَانْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٢) فَاسْتَجَبْنَا

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى
لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

وظاهر من الآية الكريمة أن الضر الذي أصابه كان في جسمه وأهله، وهذا النوع من الضر يلحق البشر ويلحق الأنبياء، فإن المرض يعتري الأنبياء كما يعتريهم الموت، وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم، أو يزي بمقامهم.

سادساً – العصمة:

وسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله لأهميتها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

• • •

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٨٣ – ٨٤).